عالمان عربي وغربي

سعدت بعشرة عالمين عظيمين شرقي وغربي ، الأول عربي والثاني ايطالي ، أنفق كلاهما حياته في خدمة الآداب والمعارف ، وكانت الشام ومصر مبادة علم العربي وحصرت شهرته في الغرب ببعض الخواص ، واستفاضت في الأكثر بين من كتب مقرباً منال العلم عليهم ، واشتهر الثاني بين علماء المشرقيات في الغرب وبين خواص المشتغلين بالعلوم الحديثة في الشرق العربي .

توخى الأول بسط علوم الحضارة لقومه فأجاد وأبدع في نقله من الانكليزية الى العربية وأفاد العرب والعربية ، وشارك في نشر المدنية العربية من دون ان يعجب بها ، على النحو الذي كان عليه صنوه ، على حين كان هذا غريباً بدمه وجنسه ودينه . وكان كلاهما صادقاً في دعوته ما اعتقدا شيئاً فيه مخالفة بين باطنهما وظاهرهما ، بعيدين كل البعد عن المصانعة في علمهما ، سارا على أحسن ما يسير عليه عالم يصدع بالحق الذي يراه . وكانت فائدة العرب من الأول جزيلة ، وفائدة الافرنج من الثاني ليست بقليلة ، وكلاهما عرف في دائرة معينة ما كان غير الدارسين في الشرق والغرب عارفين بعظم منهاجهما . ولما مضينا لسبيلهما شعرت أندية العلماء بعظم خسارة العلم بهما .

قد يكون في شعوب الغرب وعلماء المشرقيات من دوله من يشابه العالم الايطالي في كثير من خصائصه ، ولكن العربي لم ينبغ مثله ، كان على صفات من الاخلاص والدؤوب وسعة المدارك على ما لم يؤته الا أفراد ، وكان الأول يسرع في نشر ما لقفه عن المعاصرين من علم في مجلته ، وكان مجال الثاني في التأليف والمحاضرات ومقالات المعلمات .

عنينا بهذين العالمين الجليلين الدكتورين يعقوب صروف وكارلو نلينو .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الدكتور يعقوب صروف

بعد فتنة الشام في سنة ١٨٦٠ قويت عزيمة أصحاب الارساليات الدينية في الغرب على نشر مذاهبها في هذا الشرق القريب ، وتنافس دعاة الكثلكة مع دعاة البرتستانتية ، فكان من ذلك تأسيس مدارس مختلفة الصبغات والدرجات في الساحل الشامي ولا سيما في جبل لبنان ، وجعلوا من بيروت ميدان المنافسات المذهبية ، فاستفاد اللبنانيون من ذلك ثقافة جديدة وأحكموا من اللغات الغربية الفرنسية والانكليزية . ومن أعظم المدارس التي كان لها الأثر العظيم في هذه النهضة الجديدة كلية الأميركان في بيروت وهي التي دُعيت بعدُ الجامعة الأميركية الانجيلية ، فانها الى عنايتها بنشر البرتستانتية عُنيت أيضاً بالعلوم والآداب وعاشت لأول نشأتها العلوم بالعربية فتخرجت فيها طائفة من الشبان الأذكياء كان بعضهم فخراً للشام . ومن جملتهم الدكتور يعقوب صَرُّوف .

ولد هذا العالم يوم ١٨ تموز سنة ١٨٥٢ م (مات يوم ٩ تموز ١٩٢٧ م) في قرية حدث بيروت من أبوين فقيرين ، قيل ان جده كان من أصل رومي وأن الدم العربي قليل في دمه . ولما ترعرع تلقى مبادئ العلوم في مدرسة سوق الغرب البرتستانتية ثم انتقل الى مدرسة عبيه الأميركية وكفله الأميركان وأخذوا بيده فظهر ذكاؤه واجتهاده ونال شهادة بكلوريوس علوم من الكلية الأميركية في بيروت في سنة ١٨٧٠ ، ودرّس بعد ذلك سنتين في مدرستي صيدا وطرابلس الأميركيتين وبعدها دعته الكلية الأميركية الى تعليم البيان العربي والعلوم الطبيعية والكيماوية والرياضية والفلسفية فدرّس فيها احدى عشرة سنة .

وبدا له خلال التدريس مع ثربه الدكتور فارس نمر باشا أن ينشئ مجلة تبحث في العلوم المادية فاستشارا أستاذهما العلامة الدكتور كرنيليوس فانديك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأمير كاني صاحب الأيادي البيض على العلم والعرب فشجعهما على عملهما وسمى مجلتهما « المقتطف » وبدأ يؤازر فيها وينظر فيما يترجمان ويؤلفان . وصدر المقتطف في أول أيار ١٨٧٦ في مدينة بيروت ثم رأيا الانتقال الى مصر وأنشآ في القاهرة سنة ١٨٨٨ جريدة سياسية يومية سمياها « المقطم » تناصر الاحتلال الانكليزي ، وظلا على اصدار « المقتطف » و « المقطم » الى اليوم .

وتقاسم الشريكان العمل ، فانفرد الدكتور نمر بالمقطم السياسي وانقطع الدكتور صروف لانشاء المقتطف . وينظر صروف أيضاً في المسودات الأخيرة من المقطم ولا ينظر الدكتور نمر في المقتطف قبل نشره ، وكثيراً ما كان صروف يحذف من المقطم أشياء لا تخلو من مجازفات لا تتفق مع اعتداله وتعقله وتمس عواطف المصريين . وامتزج الشريكان حتى كأنهما شخص واحد فأثريا من معاونة الانكليز ونال المستأثر بالجريدة السياسية منهما الحظ الأكبر من مغانمهم على صورة لم يوفق الى مثلها أحد من أرباب الأقلام في بلاد العرب .

وما زال المقتطف بفضل منشئه يدأب على السير في الخطة التي رسمت له ، وجل اعتماده في مادته على المصادر الانكليزية ، بقرب العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية والاقتصادية والزراعية من أذهان الجمهور . وقد أثمر في هذا المعنى ، فكان أداة صالحة لنزع غشاوة الجهل المخيم على العقول ، ومشعلاً من نور الغرب يشع بين أبناء هذا الشرق . .

وكثير ممن لم يحظهم الحظ بدراسة هذه العلوم في المدارس تلقوها من طريق المقتطف . ذلك لأن منشئه كان يتوخى السلاسة في التعبير ولا ينشر ما يتعب ذهن القارئ وينفره من المطالعة . وأذكر أن أحد معارفي أرسل الي من دمشق بمقالة مخفقة العبارة قليلة المعاني وأرادني على أن أدفعها لصاحب المقتطف للنشر ، فنامت عنده مدة حتى فرغ صبر كاتبها فأوعز الي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بالبحث عما آلت اليه حال مقالته . فقال لي الدكتور صروف : اني اعتدت أن أدفع مقالات المؤازرين الى ابنتي لتقرأها فاذا فهمتها أنشرها وأعتقد أن القراء يتذوقونها وإلا فلا . ومقالة صاحبك عبارة عن ألغاز ومسميات لم أدرك ما يريد أن يقول فبالطبع على تلك النسبة يكون فهم القراء وهذا ما حال دون طبعها .

نعم رُزق صروف رشاقة في بيانه لا يتكلف فيه ولا يتصنع ، ومهر في بسط المعاني لقرائه ، وكان من تدريسه في صباه سنين كثيرة عامل مهم لادراك حاجة المتعلم والمستمع والقارئ ساعده على افهام قرائه وتجيب الأبحاث العلمية الجافة الى نفوسهم مهما كانت درجة معرفة المطالع ، وهذه مزية فيه قلما داناه فيها أحد ممن أنشأوا مجلات خاضت الأبحاث التي خاضها أو ما يماثلها . والسر في نجاحه أنه أتقن العربية والانكليزية وأتقن العلوم التي توخى نشرها وتخرج بعظيم أفاده علماً وتدريباً .

كان المترجَم له يقرأ المقالة الطويلة بالانكليزية فينقلها الى العربية أو يحتذيها أو يأخذ بعض معانيها وذلك باختصار لا غبار عليه . يزينها بما يوضحها ويحليها في العين والذوق . وكان حسن الاختيار فيما ينقل ويحتذي ويؤلف ، لا يخوض أبحاثاً لم يقع له أن ذاق منها ولو لُماظات خفيفة ، واذا اضطر الى أن يعالج موضوعات لم تسبق له تبدو مقاتله ويظهر ضعفه ، عُدَّ عليه هذا في بعض ما كتب وترجم ، والتعريب في مجلته أبداً أكثر من التأليف . وأكثر المقالات المصنفة كانت من أقلام مؤازريه . ومن قرأ أجزاء المقتطف يسقط فيها على ملخص آراء العلماء من الانكليز السكسونيين في العلوم التي يخوض عبابها ، وعلى مقالات جادت بها أقلام بعض أدباء تلك الحقبة من الشاميين والمصريين وغيرهم . ويدرك أن صاحب هذه الصحيفة كان يسير بها على سنة الترقي تزيد كل سنة مادته وتزيد معها معارف قرائه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولما كان له من موضوعاته ما لا يستسيغه عامة المطالعين في ذاك الدهر بدعوى أن منها ما يمس الأديان والتقاليد في الأحايين ، كان منشئها يلتزم الحياد على الأكثر فينقل ويعزو ما ينقل الى مصادر معينة ، ويترك المجال للقارئ حتى يفكر بنفسه فيما يتلو ويتدبر . وكان يتعمد ما أمكن الابتعاد عن مزج القديم بالحديث ، وما كان ممن يحسن الظن بمدنية العرب لتشبعه بروح من لم يدرسوها حق دراستها ، وساء حكمه على تلك المدنية بما أبقت بيئته الأولى في نفسه من التبرم بحال من شاهد من أهلها . ومع هذا نشر لمؤازريه أبحاثاً مهمة بدون تعليق عليها الا في أمور لا تحتملها حوصلته ، ويعتقد هو خلافها بحسب ما هداه اليه علمه . ثم قد تضطره العاطفة الى أن ينوه بمن لا يستحقون التنويه ، فيترجم لهم ، ويلفق لهم أدباً ، ويزعم لهم فضائل ، ويغفل عن ترجمة من لم يشاركوه في سياسته ، أو من نقدوه وآذوه في نقدهم من علماء العصر وغيرهم . على أن التسامح العلمي باد على أكثر ما كان ينشر . ولا يحمل عطفه على بعض من حاول رفعهم الا على خُلُق تخلقت به الطوائف القليلة في هذا الشرق القريب وفي غيره أيضاً . فان الطائفة القليلة العدد تتماسك وتساند أمام الطوائف الكبرى وبعبارة أصرح انه أصبح من طبيعة المسيحيين في هذا الشرق أن يمسك بعضهم بأيدي بعض وينوهوا بأدبائهم ورجالهم ويلفقوا لهم مزايا ويتخيلوا لهم درجات يرفعونهم اليها ، وقد يعد هذا العمل من باب التنشيط اذا لم يعبث بالحقيقة .

ومن طالع مجلة المشرق وما كتبه أصحابها من أبناء الرهبنة اليسوعية في التنويه بأبناء طائفتهم من الباباويين يُدهش من هذه الجرأة على التصنيع والمصانعة ، ولو حاول مؤرخ معتدل أن يرد الى الصواب ما نقلوه ودونوه في أبناء الكاثوليك والموارنة لاقتضى له أن يحذف منه تسعة أعشاره ذلك لأنهم خلقوا لمن ارادوا تزيين صورهم شعراً ونثراً وتآليف وخطباً لو كان هناك انصاف لما قوبلت بغير

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الطرح في سلة المهملات وقالوا عما نشروا انها كتب وأسفار وأباعوها من عامتهم ونشروها لتأييد دعوتهم فكانت سبّة على العرب والعربية وعاراً على الحقائق التاريخية.

فتح المقتطف صدره للمناقشات في العقد الأول من حياته فنصح فانديك لمنشئيه بالعدول عن خطة المماحكات وأثبتنا له نصيحته في مجلد السنة الثامنة وقللا بعد ذلك من الأخذ والردّ في الأجزاء التالية وشغلا صفحاتها بالمفيد من الأبحاث. وراعى المقتطف ذوق الكثرة الغامرة من قرائه وما لا يعود عليه بضرر في تجارته العلمية. ومن مزج العلم بخدمة نفسه في الماديات فاتخذ العلم تجارة والتجارة باباً للعلم قد ينجح في الأعم من حالاته. ومن أجل هذا اضطر المقتطف في الربع الأخير من عمره أن يجاري بعض المجلات في نشر الأبحاث الادبية فأجاد في بعض رواياته المترجمة ولم يجد في المختارات الأدبية فجاء من المقتطف صحيفة عامة تبحث في أمور كثيرة ولا تشهد عليها مسحة مجلات الاخصائيين التي تنصرف الى علم أو علوم لا تتعداها فتطيل فيها وتتوسع ما شاءت وشاءت أغراضها. وللمقتطف عذره في ذلك ما دام أهل الاختصاص في الشرق لا يعيشون من أقلامهم وما عمّ العلم بيننا حتى يخص. ومن كان غرضه تعميم المعارف بين قرائه كافة وارضاءهم على اختلاف أهوائهم وشهواتهم الأدبية لا بد أن يسقط ولو قليلاً فيما يدعوه الخاصة لغواً او حشواً. وقد قال لنا منشئه يوماً في الكلام على مجلتنا المقتبس اننا نملؤها بالدسم فوق اللازم فالأشبه بنا أن نضمنها ما تتحمض به النفوس ليشتد قرمها الى العلم.

لا جرم أن المقتطف كان مدة نصف قرن مباءة لنشر الأفكار والعلوم، وكان الفضل له بأن حمل زمرة صالحة من رجال النهضة العربية من أواخر القرن الماضي على البحث والدرس والنشر، وطال عمر مجلته فدعيت شيخة المجلات العربية، وقد سار منشئه فيه بروح الزمن فكانت مباحثه علمية صناعية لأول أمره، ثم أخذ يُعْنَى بأبحاث عربية وما يستهوي العامة الى مطالعته خصوصاً عندما

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

انبعثت شعلة الآداب من مصر ونبغ من المصريين علماء وأدباء أرقى كعباً ممن تخرجوا في مدارس المرسلين في الشام ومصر ذلك لأن الأفراد الذين امتازوا من أهل مصر أخصوا في العلوم وأتقنوا العربية ومرنوا على الكتابة والترجمة ، وجمهور من درسوا في مدارس المرسلين من المبشرين درسوا أموراً كلية قصدوا بها تلقف اللغات الأجنبية لتساعدهم على التجارة وما عُنوا العناية المطلوبة باللغة العربية وآدابها .

وللدكتور صروف فضل عظيم في وضع كثير من المصطلحات العلمية والأسماء الفنية نشرها على صفحات صحيفته فتناقلتها الأقلام ودخلت في الكتب العلمية الحديثة المترجمة . وله طريقة في النقل من اللغات الافرنجية حبذا لو يسير النقلة عليها لأنها زبدة تجارب سنين طويلة ، وهي من خير الطرق في النقل والاحتذاء . وقد تجلت في شخصه أخلاق العلماء العصاميين فهضم ما تعلم وعلّم ما علِم فرزق الحظوة بما كتب وعرّب ، وكثر أحبابه والمعجبون بمضائه وحزمه من جميع الطبقات والنحل . واحتفلت مصر بعيد المقتطف الخمسيني فأظهر نخاصة العرب ما تكنه قلوبهم من الحرمة لهذه المجلة وصاحبيها .

وان واحداً وسبعين مجلداً كتبها الدكتور صروف في احدى وخمسين سنة هي في الواقع أهم معلمة عربية في العلوم الطبيعية والرياضية والاقتصادية تخلد بين العالمين ذكره ، وتضعه في الصف الأول بين الرعيل الذي حمل قبس العلم والأدب الى عقول العرب في العهد الحديث ، ولقد كان مثال العامل النشيط الى آخر أيامه يلذه عمله ويتعشقه . ولذلك أكبر العقلاء المصيبة به يوم وفاته ، وعده العرب ركناً عظيماً من أركان نهضتهم ، ورجلاً قلّ في الرجال العاملين نبوغ مثله ، رفعه علمه وأدبه ورفع هو كثيرين من حملة الأقلام ، وأرشدهم وهداهم الى البحث على الطرق العلمية الجديدة وكان أيضاً من جملة من لهم فضل عظيم على كاتب هذه السطور بعطفه عليه وتنويهه به ، وما أخلاه في بداءة عمله من ملاحظاته الرشيدة وآرائه السديدة رحمه الله وأجزل ثوابه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الدكتور كارلو نلينو

كان الدكتور كارلو الفونسو نلينو شيخ علماء المشرقيات في ايطاليا ، وصاحب التآليف والأبحاث المُمتعة بالعربية والايطالية .

ولد في تورين يوم ١٦ شباط ١٨٧٢ وفيها درس دراسته الأولى وأخذ مبادئ اللغات الشرقية ، واعتمد منذ نشأته الأولى على ذكائه ودرسه الخاص أكثر من اعتماده على المعلمين والأساتيذ ، وبما فطر عليه من قوة الملاحظة ودقة النظر على ما لم يكتب لغير أفراد قلائل في الناس جاء منه عالم تام الأدوات ، ولمّا يبلغ سن الرشد ، على حين في العادة أن يظهر من كانوا في مثل سنه من صغار العلماء أنهم مبتدئون اذا بحثوا وكتبوا ، وأنهم في أول مراتب التحقيق العلمي اذا ألفوا وصنفوا .

عين أستاذاً للغة العربية في المجمع العلمي الشرقي في نابل وهو في الثانية والعشرين من عمره ، وغدا في سن الثلاثين أستاذاً في جامعة بلرم عاصمة صقلية . وفي سنة ١٩١٣ خصته دولته بأن أنشأت له كرسياً لتدريس التاريخ والأبحاث الاسلامية في جامعة رومية . وكان منذ سنة ١٩٠٩ يُعهد اليه المرة بعد المرة التدريس في الجامعة المصرية ، وكان قضى في مصر في صباه أشهراً لاحكام اللغة العربية .

وكان في آخر أمره نائب رئيس مجمع لنشاي في رومية وعضواً في المجمع العلمي الايطالي وفي عدة مجامع وجمعيات ايطالية وغير ايطالية وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق منذ بدء تأسيسه وعضواً في مجمع اللغة العربية الملكي في القاهرة منذ أول عهده .

وعهد اليه النظر في القسم الشرقي من المعلمة الايطالية أي دائرة المعارف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الايطالية فكتب معظم مقالاتها الخاصة بالإسلام . وأنشأ مجلة الشرق الحديث تصدر بالايطالية مرة كل شهر في رومية بعناية المجمع العلمي الشرقي باحثة في السياسة وتقويم البلدان وأصول السكان والثقافة الحديثة ، وبفضل عنايته أصبحت هذه المجلة من أهم المجلات المشهورة في العالم ، وقد أدارها سبع عشرة سنة بما عرف فيه من مضاء ودؤوب ، وآزرته في عمله في العهد الأخير كريمته الفاضلة وتابعته في دروسه ورافقته في أسفاره .

كتب نلينو أبحاثاً جليلة ، وأكثر ما كتب مقالات ومحاضرات دلت على بعد غوره ونظره ، وأنه مفرد في بحثه العلمي يتجلى انصافه وأدبه مع مخالفيه وموافقيه . كان أجزل الله ثوابه شديداً على نفسه وشديداً في مناقشاته لا يتحلّم عن جهل جاهل ، ولا يسكت عن غرور مزهو معجب بنفسه ، رأيناه يناقش خصومه بحماسة وقوة ، وقد يصليهم ناراً حامية من نقده ، فلا يخرجون من حواره سالمين لكنه لا يجوّز لنفسه أن يُجْهِز عليهم ولا أن يتعدى نطاق الأدب والنصفة في حوارهم . وكان اذا وسد اليه النظر في أعمال قام بها غيره يصلح هفواتها ويقوّم مناآدها وينقدها وينقيها ، ولا يتعدى حدود اللطف والعطف في تقدير كل عمل قام به صاحبه بأمانة ، وظير أن الجد لحمته وسداه .

من أبرز صفات نلينو غرامه الشديد بجلاء الحقائق وقد أفرط في ذلك الى حد الوسواس والتردد . كان يحلل كل عبارة مهما كان مصدرها تحليلاً مجهرياً ، ويفحص بمعرفته الثاقبة كل كتاب مهما كان مهماً أم غير مهم ، لا يهمل ولا يتريّث ، ذلك لأنه كان يريد أن يكون في العلم كما هو في الحياة على مثل اليقين فيما يقول به ويؤيده من أنظاره .

كان اذا جرى أمامه بحث في بعض المسائل التي لم يعطها من الدرس حقه ينصت مستمعاً لما يقال استماع تلميذ جبان أمام معلمه العظيم . واذا كانت المسألة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المعروضة مما يحسن معرفته لا يحول أحد بينه وبين الكلام ، ولا يحجم عن قول كل ما يعرفه .

قال من ترجموا له انه لم يكتف من العلم الاسلامي بدراسة علم الفلك فقط بل أخذ نفسه بدرس كل ما لهذا العلم من فروع وشعب ، وكان مثالاً مفرداً في معناه بين المؤلفين ، وحجة قاطعة في الدروس الاسلامية والعربية . وقد قال مرة لأحد أصحابه : أنا لا أود أن أدع الخروج من درس العرب دراسةً خاصةً الا اذا عرفت كل شيء على حساب العرب .

ودعاه اتساع نطاق الحضارة العربية وطول مداها وترامي أطراف البلاد التي نشأت فيها ان يخرج عن دائرة الاختصاص الضيق الى ساحة النظر المطلق في كل ما له علاقة بهذه المدنية . فكان نحوياً مؤرخاً جغرافياً فقيهاً فيلسوفاً حقوقياً طبيعياً رياضياً ، ونظراته سديدة في هذه المدنية الفنية وارثة تراث الشرق السامي والفارسي الطويلة العمر (أربعة عشر قرناً) .

رأى نلينو في العصر الذي عاش فيه وتجرد للعمل في ميدانه أن العلم العربي الاسلامي حاد عن طريقه اللغوي واتجه وجهة جديدة في بحث الأفكار والأوضاع فتخلى عن درس الأصول وعن أخذ ما خلفته الاجيال القديمة من تراث أدبي ورجع الى القرون الوسطى الاسلامية ثم بدأ بدرس الاسلام الحاضر دراسة علمية . وما كان الاولَ ولا الوحيد الذي قاده عقله الى سلوك هذه الطريق الجديدة ، وكان بما رزق من ملكة لاستخراج مادة مبعثرة ، ومعالجة موضوع عسير ، فرداً في صبره وأناته لم يشاركه فيما نعلم غير أفراد قلائل من علماء المشرقيات فهو لم يترك قضية عربية اسلامية الا وجعل لها قسطاً من عنايته ، وتوفر على دراستها دراسة كفؤٍ محقق ، ودقق في فروعها وأصولها ، كاشفاً عن غوامض الحوادث المجهولة ، ومصلحاً أغلاطاً فاحشة قديمة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تناولت دراساته اللهجات العصرية ، والتاريخ السياسي حديثه وقديمه ، والتنقل بين التاريخ والجغرافيا ، والنظر في الأساليب المختلفة في كل مظاهرها ، والبحث في عاديات اليمن قبل الاسلام وفي اسماء بلدان ليبية (طرابلس وبرقة) وفي وضع فهارس المخطوطات ، وفي تراجم الرجال وحل الكتابات الأثرية . وكتب أكثر تآليفه بالايطالية وبعضها بالعربية ، ونشر أبحاثاً بديعة في التاريخ والجغرافيا والفلك عند العرب ، وأبحاثاً في القرآن ، وفي قبائل العرب وأصولها ، وطبع في صباه زيج البتاني الفلكي العربي مع ترجمته بالايطالية وبه اشتهر بين العلماء . ولما دعي في سنة ١٩٠٩ — ١٩١٠ الى التدريس في الجامعة المصرية القديمة ألقى على تلاميذه محاضرات في تاريخ علم الفلك عند العرب في القرون الوسطى وطبعها على حدة ، فكانت من أجل الكتب التي نشرت في هذا العصر بالعربية ، وبه وقفنا على أشياء كنا نجهلها من عناية أجدادنا بهذا العلم . ومن الكتب التي صحح أغلاطها كتاب تاريخ المسلمين في صقلية لآماري المستشرق الصقلي وهو في مجلدين بالايطالية ؛ فاستدرك نلينو ما فات المؤلف ، ومنها كتاب دولة عمورية لفازيليف المستشرق الروسي ، نظر فيه نظرة بليغة مع من نظر فيه من العلماء . وله عدة أبحاث في مجلة المجمع العلمي العربي وفي مجلة الهلال وبعض مقالات في مجلات أخرى يضرب فيها كلها على سندان واحد وهو تصحيح أغلاط المعاجم وتنقية العلم من الزغل والزؤان الذي وقع فيه بفعل القرون الطويلة وجهل الجاهلين .

وقد نشر في سنة ١٩٠٨ بحثاً في مجلة المجمع العلمي المصري صحح فيه ما وقع للمترجمين من تحريف في أسماء البلدان العربية ولما اطلع على ما كتبته في جريدة المؤيد ومجلة المقتبس بشأن موضوعه بعث يشكرني ويقول ان غرضه (تنبيه أولي الشأن من الشرقيين الراغبين في صون لغتهم من أيدي الضياع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ووقاية الكتب والمصوّرات والجرائد من التجريف الشنيع) وبقي يطيل النظر في هذا الموضوع الى السنة الماضية وقد طلب مجمع اللغة العربية الملكي بالقاهرة تصحيح أعلام البلدان في بلاد الاسلام فصحح القسم الأعظم منها ، ما خلا الديار الشامية وجزيرتي الأندلس وصقلية ، وأبرز جداول محكمة في هذا الموضوع دلت على علو كعبه وطول درسه ، فأقر الأعضاء جداوله معجبين ، وقد كان المجمع يريد ارجاء هذا البحث الى دورة الانعقاد المقبل فأصر نلينو على تلاوة جداوله وإقرارها ، كأنه كان يلحظ من جانب الغيب أن المنية ترصده وأن تلك الجلسة آخر جلساته ، وهو يريد أن يقر المجمع عملاً له تعب سنين في اعداده ، وأن ينشر هذه الكلمات الصحيحة على الشعوب العربية والاسلامية ينتفعون بها في تقويم أسماء بلادهم .

وكتب الأستاذ مقالات ممتعة في معلمة الاسلام وأكثرها في علم الفلك والآلات الفلكية وتراجم بعض الفلكيين وغيرهم ، وكانت مقالاته في مجلة المشرقيات الايطالية في غاية الامتاع ، ومنها خلاصة ما تنشره مجلات الشرق العربي من الكتب والرسائل والأبحاث النادرة . أما الأسئلة التي كانت تعرض عليه ويجيب عنها بالتحقيق المعهود فيه فكانت وافرة جداً ، وربما تألف منها مجلدات لأن الفقيد العزيز كان كريمًا بعلمه ما سأله سائل في أمر يعرفه الا بادر الى اطلاعه على ما عنده منه . سألته ان يجلو لي بعض الأنحاء الغامضة من تاريخ الفتح العربي في جنوبي ايطاليا ما عدا صقلية ، فكتب اليّ كراسة بالفرنسية فيها زبدة تاريخ تلك البلاد فانتفعت بها في كتابي (الاسلام والحضارة العربية) وطلبت منه أن يتفضل ويكتب لي نبذة مختصرة في حياة صديقي وصديقه العظيمين جويدي وكايتاني من أكبر علماء المشرقيات في ايطاليا فاغتبط وابتسم ووعدني بأن يكتب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والسرّ في كل هذه الأعمال الجليلة التي تمت على يد زميلي الكبير شدته في نظامه وتدقيقه في عمله وما رزق من ارادة قوية ، فهو رجل ما عرف الفوضى ولا التوى ولا أحجم . أحرز درجة عالية في الأبحاث التي نظر فيها ، قلما تطالّ الى مداناته فيها العلماء ، وهو بالنسبة لبيئته وتربيته ولما يريد بحثه من الموضوعات قد يستهدف لغضب قصار النظر ، لأن أبحاثه لا تخلو لاختلاف الدار من أشواك وحسك ، ومما يغبط عليه أنه قال ما يرضي وما يغضب فأرضى وما أغضب ، وهذه نعومة وحسن مأتى قلما يصل اليها باحث . ولذلك كثر المُعْجَبُون به في الشرق العربي ولا سيما في مصر ، وكان يحبها لأنها عرفت قدره شاباً فوسدت اليه التدريس في جامعتها وما نسيته كهلاً وضمته الى أعضاء مجمع فؤاد الأول اللغوي .

نعم كان نلينو نابغة بعلمه وتحقيقه ، فرداً في أخلاقه وسمته ، عرضت عليه أرفع المناصب السياسية في بلاده ، فما أراد أن يخرج عن هدي العلماء ، وما وجدت المظاهر الخلابة سبيلاً الى قلبه . كان يحسن بضع لغات غربية ويحذق العربية تخاطباً وتكاتباً كأحسن أبنائها . وقد فقد العلم الاسلامي به عالماً غيوراً وعاملاً مخلصاً . فيه شجاعة وأريحية ، وفيه المروءة وعزة العلماء ، ويحق لايطاليا أن تباهي بابن لها أورثها مجداً لا تَبلى على الأيام جدته ، وخليق بعلم المشرقيات أن يبكيه ، وبنا معشر العرب أن نتأمل طويلاً في سيرته وأن نعرف أنه خدم أمته وما كره غيرها ، وأنه نفع طول حياته وما أضرّ . ومن حق الشعوب العربية من أقصى بحر الظلمات الى الخليج الفارسي أن لا تنسى عظيماً صرف عمره في درس كل ما له علاقة بها وبتاريخها وباجتماعها وبلادها وعطف عليها وأحبها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولا يسعني وقد وصل بي نفس الكلام الى هذا الحد الا أن أقول ان صلاتي كانت مع صديقي الراحل وثيقة مدة ثلاثين سنة وكنت اذا حدثته أو كاتبته أشعر بأني مع عالم قريب منا بذهنيته وآدابه ، ذلك لأنه كان يحب العرب والعربية محبة صادقة ، وما ألقاه من المحاضرات وكتبه من المقالات باللغة العربية خيبه الى أهلها وحبب أهلها اليه ، وكان هو والعلامة جوبدي والعلامة سانتلانا من أول من ألف من علماء المشرقيات الغربيين باللغة العربية ، ثم تبعهم العلماء ربتر وكرنكو وبرتزل ومايرهوف ونيبرج وغيرهم . وكانت العادة أن يكتب المستعربون من علماء المشرقيات مقدمات الكتب العربية القديمة التي ينشرونها بلغاتهم أو باللغة اللاتينية فأصبحوا يكتبونها بالعربية وبهذا عرف أبناء العرب صورة من بحث علماء المشرقيات وعنايتهم بالعلم وتحقيقهم الممتع .

وبعد فقد كنت أود أن أعرض في هذا الحديث لتحليل روح الراحل العظيم والالمام بنشأته . ولعلّ أحد أصدقائه وتلاميذه يسد هذه الثلمة ليكون من سيرته لناشئتنا درس نافع وليوقنوا أن العلم بغير درس لا يحصل ، وبدون عمل لا يستفاد منه ، وأن الشهادات المدرسية والألقاب العظيمة مهما كانت وتعددت لا تنبئ عن الرجل ، وأن أوربا لم تتقدم الشرق الا بعملها وعلمائها ، وأن دعوى التمجد بالقديم من دون عمل لاقتباسه والزيادة عليه لا تفيدنا ، وأن الواجب على علمائنا وأدبائنا أن يجعلوا قبل كل شيء سيرة أمثال نلينو نُصب أعينهم ، ولا غضاضة على من اعترف بقصوره ، وسعى الى الكمال من طرقه المعقولة .

محمد كرد علي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net